

## آليات تفعيل المقرئية في الوسط الطلابي الجامعي

الدكتورة وداد بن عافية

جامعة باتنة

-مقاربة ميدانية-

يرتبط فعل القراءة بأبعاد فكرية وثقافية، فالعزوف عن اقتناء الكتاب وقراءته إنما يرتبط بتعطيل الفكر والتنازل عن حق الإنسان الطبيعي في امتلاك ثقافة حرة و متطورة، "وما تعطيل العقل سوى إبقائه قوة محافظة أساسا، تعمل على كبت أي تمرد على الأوضاع القائمة، وتدعو إلى الاحتفاظ بكل الثقافات السائدة، وتحارب كل ميل جذري إلى التغيير"<sup>1</sup>.

يميل أغلبية الأفراد لاسيما الشباب منهم إلى التنازل الجماعي عن حقهم الطبيعي في ممارسة القراءة كذوات واعية ومثقفة تسهم في نقد ثقافتهم وتطويرها، ويتنازلون عن هذا الحق إلى من يرونه أجدر من صانعي الثقافة، فكأن القراءة والتغيير وممارسة الفعل النقدي والثقافي حكر على فئة نخوية في المجتمع، أوكل إليها حق القراءة والممارسة الثقافية، أما الآخرون فهم مغتربون عن المناخ الثقافي والقرائي الذي يقصون منه أنفسهم طواعية ويرونه طريقا وعرة مخوفة بالأعباء والمضايقات مكرسين بذلك سياسة الاغتراب الثقافي للذات بكل ويلاته.

أصبحت الذوات تمارس التهميش والإقصاء على نفسها بغياهما عن الفعل القرائي الثقافي إلتماسا للراحة والطمأنينة، بعيدا عن ضوضاء المعرفة والفكر وتطوير الذات والمجتمع إذ يصدق عليها قول الشاعر:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخ الجهالة في الشقاوة ينعم

إن الذات العربية والجزائرية باستكانتها للاغتراب الثقافي إنما تهدر ثروتها العقلية والفكرية، بالتنازل عن المسؤولية وحق التغيير والتطوير والنقد:

إذا لم أحترق أنا..

<sup>1</sup> حازم خيرى، مقالات في الفكر الأنسي، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2010، ص19.

إذا لم تحترق أنت..

وإذا لم نحترق نحن..

فمن إذن..

يجلو الظلمات !!<sup>1</sup>

إن القراءة احتراق ومسؤولية وتضحية، تقاعس عنها جيل كامل من الشباب، لاسيما المثقف منه، كالطلبة الجامعيين الذين يستكينون إلى الخلاص من أعباء التعلم والنجاح بأقصر الطرق وأسهل السبل، مانحين أذهانهم إجازة سنوية عدا أيام التقويمات والامتحانات، وهو واقع مر وأليم يعيشه الأستاذ الجامعي مع طلبته بشكل مستمر، والملاحظ بناء على ما سبق أن "المشكلة عندنا ليست مشكلة الطلبة بقدر ما هي مشكلة الجامعة، بل هي ليست مشكلة الجامعة بقدر ما هي مشكلة الوضع الثقافي في بلادنا، إن لم تمتد إلى الوضع الذهني العام وما يزدحم فيه من متناقضات، ومن ثم كانت المشكلة معقدة ذات رؤوس متعددة وعروق بعيدة في أغوار التاريخ".<sup>2</sup>

ولئن كان هناك إصلاح يرجى لهذا الوضع المزري والمتفاقم يوما عن يوم، فأتصور حسب اعتقادي أنه يبدأ من الجامعة باعتبارها بؤرة مركزية لصناعة الثقافة والفكر في المجتمع، وذلك عبر تفعيل المناهج التعليمية وانتقاء أنجعها لتطوير المهارات القرائية لدى الطالب وتقليص الهوة الفاصلة بينه وبين الكتاب، وهو ما يتطلب الاشتغال على الطالب نفسيا وفكريا.

إن مشروع إخراج عقل الطالب الجامعي من عطالته يتطلب قوة محرّكة جبارة، تتمثل في آليات تفعيل المقرئية لديه، وهو ما سعيت إلى تحقيقه مع طلبتي من خلال الحصص التطبيقية المقررة لمقياس السرديات، حيث تبنيت استراتيجية التوجيه والتحفيز وتكليف الطلبة بقراءة رواية كل أسبوع باعتبارها خطابا فكريا ومعرفيا يأخذ من كل المعارف بطرف، قصد تنمية مهاراتهم الفكرية وقدراتهم القرائية ورفع مستواهم اللغوي.

<sup>1</sup> الأبيات للشاعر التركي ناظم حكمت، ترجمها إلى العربية الشاعر المصري الراحل نجيب سرور.

<sup>2</sup> عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 53.

وفيما يلي تقديم لحيثيات هذه التجربة وإبراز النتائج المتوصل إليها:  
المشروع: تفعيل القراءة في الوسط الطلابي الجامعي.

## I-المعطيات:

- المقياس: سرديات عربية معاصرة
- عدد الأفواج: أربعة.
- المستوى: سنة ثالثة ماستر.
- المدة الزمنية: ثلاثة أشهر (ثلاثي: أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر). ديسمبر).
- الحجم الساعي أسبوعيا: ساعة ونصف.

## II-الأهداف المرجوة:

- خلق علاقة وطيدة بين الطالب والكتاب.
- تحويل فعل القراءة إلى عادة يومية.
- بناء الطالب فكريا وتحسيسه بالفرق قبل القراءة وبعدها.
- تحصيل أكبر قدر ممكن من المعرفة بتنمية المهارات والقدرات القرائية لدى الطالب.
- ترسيخ ثقافة حب المطالعة والقراءة لدى الأجيال الصاعدة.

### III- المنهج المعتمد:

إن في تضافر العمليتين التعليمية والبيداغوجية بالغ الأثر في "اكتساب المعارف وتبليغها، لكن التعليمية تعالج محتويات المعرفة بصفة خاصة، بينما تهتم البيداغوجيا بالعلاقات ما بين المتعلمين والمعلمين".<sup>1</sup>

تعتبر عمليتا اختيار الكتاب الذي يتواءم والمرحلة العمرية للطالب ذهنيا ومعرفيا وتحفيزه نفسيا من أهم الآليات التي تُفَعَّل بها القراءة في الوسط التعليمي، إذ "تشتغل التعليمية ضمن ثلاثة حقول أو مستويات:

-الأول ابستمولوجي Epistemologique يخص المعرفة.

-الثاني نفسي psychologique موضوعه التلميذ.

-الثالث تطبيقي praxeologique يهتم المدرس".<sup>2</sup>

اتبعت في تجرّبي القرائية مع الطلبة منهجا قريبا من أفكار "سكينر" وأطروحاته التربوية والبيداغوجية، إذ ابتعدت ما استطعت عن أسلوب التهديد والعقاب وخلق مناخ بديل يشتمل على كل أنواع الدعم والتحفيز الإيجابيين مع التركيز على اختيار المادة المدروسة، من خلال التوجيه إلى عناوين معينة نظرا لأهمية المضمون المعرفي في تفعيل القراءة في الوسط الطلابي، والتي كانت متوافقة في أغلبها مع ما اقترحه "سكينر" في نظريته حين أسند إلى المضمون المعرفي أربعة أدوار هامة:

**1-محدد الإثارة:** نظرا لما تتركه القراءة الأولى من انطباع على نفسية المتلقي، تعمّدت في الحصص الأولى إلى توجيه الطلبة إلى قراءة روايات معينة لأسماء محددة لها القدرة على إثارة قارئها وتحفيزه على مواصلة القراءة حتى النهاية من خلال المواضيع المعالجة وتقنيات الرواية المستخدمة واللغة الموظفة.

<sup>1</sup> محمد البرهمي، ديداكتيك النصوص القرائية بالسلك الثاني الأساسي، النظرية والتطبيق، دط، دار الثقافة، الدار البيضاء، دت، ص 10.

<sup>2</sup> بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2007، ص 181.

إن توجيه القارئ إلى عناوين محددة كبوح الرجل القادم من الظلام لإبراهيم سعدي والرماد الذي غسل الماء لعز الدين جلاوجي وذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي يؤطر لعملية القراءة ويجعلها مضمونة في أغلب الأحيان لأنها تحفز القارئ وتجعله يقرأ المزيد، مع مراعاة الاستثناءات التي تصادفنا بين الفينة والأخرى، فقد يكون الروائي عالمي والرواية مكتملة من جميع جوانبها لكن الطالب يقول ببساطة إنها لاتعجبه وأنه قرأها بامتعاض وضيق شديدين كرواية سنونات كابول لياسمينه خضرا.

**2- محدد العرض النسقي للمادة:** قد يكون أمرا مملا ومقلقا لطالب لم يحدث أن قرأ كتابا من قبل أن يوجه منذ الحصص الأولى إلى قراءة رواية طويلة لواسيني الأعرج مثلا، إذ يتعين على الأستاذ التدرج في تقديم المادة القرائية وتوجيه الطالب إلى قراءة المجموعات القصصية لواسيني أو الطاهر وطار أو زهور أونيسي أو جميلة زنير، أو قراءة بعض قصص التراث العربي كقصة العبدلة الثلاثة أو قصص الأنبياء، ثم التدرج إلى قراءة الرواية المتوسطة الحجم وغير المستعصية على الفهم كروايات الطاهر وطار، والتدرج بعد ذلك شيئا فشيئا إلى ما هو أعقد من حيث الكم الحجمي والمعرفي. فتقديم المادة المقترحة للقراءة في شكل جرعات متدرجة التعقيد أمر مهم في تفعيل عملية القراءة لدى الطالب الجامعي.

**3- محدد التناسب والتكيف :** هو تحصيل حاصل للمحدد السابق، أي أن المادة المقدمة للطالب يجب أن تتناسب ومستوى نموه من جميع النواحي، لذا نجد بأن القارئ يميل إلى قراءة روايات دون أخرى، فحين كنت أفسح المجال أمام الطالب كي يجتهد في اختيار روايته بنفسه بدل التشهير بكتب معينة، كان الطلبة يميلون إلى كتاب معينين: كروايات نجيب الكيلاني الإسلامية وروايات جورجى زيدان التاريخية وروايات أجاتا كريستي البوليسية وبعض العناوين الخاصة بأدب الأطفال، بل وكثيرا ما يميلون إلى العناوين الرومنسية كالأسود يليق بك لأحلام مستغانمي ويقتفون آثار القصة الرومنسية في الرواية حتى وإن كانت لها أبعاد أخرى سياسية وفكرية، "وبناء على هذا فإن تحقق هذا الارتباط في الخطاب الأدبي لا يكتمل إلا إذا كان الخطاب يمس حياة الجماعة أو

يعنى بدوافع معينة داخل الجمهور المتلقي، عندها تصبح الاستجابة ممكنة بل في أوج قوتها".<sup>1</sup>

**4- محدد التعزيز الفوري:** كلما وقع الطالب على الكتاب الذي يرضيه فكربا ونفسيا، كلما تحفز للقراءة أكثر في وقت أقصر، لذا تعتبر روايات العشرية السوداء من النصوص التي تلامس الطالب وتحظى بنسبة مقروئية معتبرة كروايات ياسمينه صالح.

#### **IV- الحصاد خلال ثلاثي:**

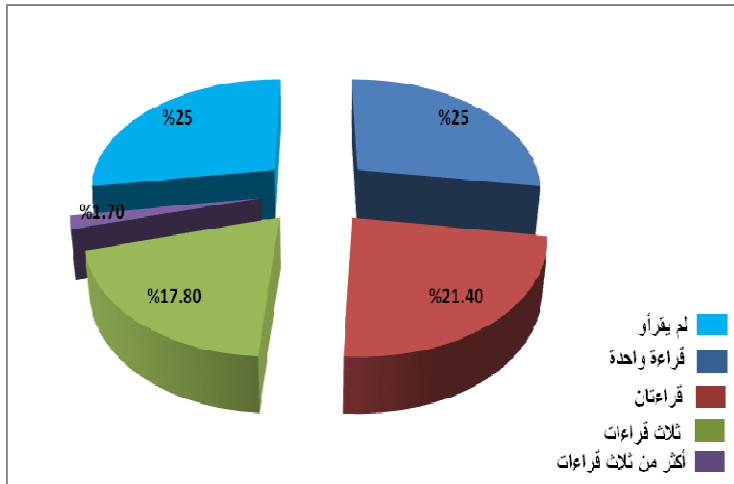
رغم أن الأفواج من نفس المستوى والأستاذ نفسه وآليات تفعيل القراءة المتبعة وفق استراتيجية بيداغوجية معينة هي نفسها، إلا أن المردودية اختلفت حسب الأفراد وحسب الأفواج.

عمدت إلى متابعة التطور القرائي وتسجيل مردوديته لدى الطلبة بشكل أسبوعي، إلى أن انتهى الثلاثي، ثم قمت برصد النسب المئوية لكل فوج على حدة لتقييم النتائج المتوصل إليها، فكانت كما يلي:

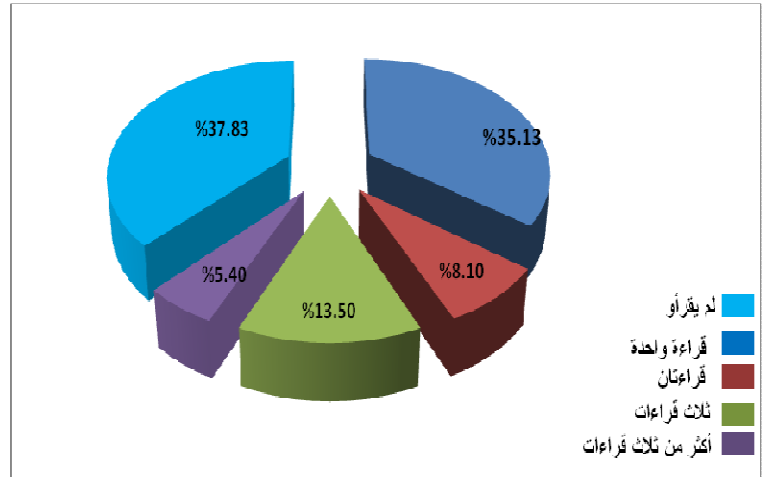
| الفوج 4 | الفوج 3 | الفوج 2 | الفوج 1 |                     |
|---------|---------|---------|---------|---------------------|
| 36      | 35      | 28      | 37      | عدد الطلبة          |
| 22      | 13      | 07      | 14      | الذين لم يقرأوا     |
| 07      | 11      | 07      | 13      | قراءة واحدة         |
| 05      | 06      | 06      | 03      | قراءتان             |
| 01      | 03      | 05      | 05      | ثلاث قراءات         |
| 01      | 02      | 03      | 02      | أكثر من ثلاث قراءات |

يمكن أن نمثل للنتائج السابقة بالنسب المئوية على النحو التالي:

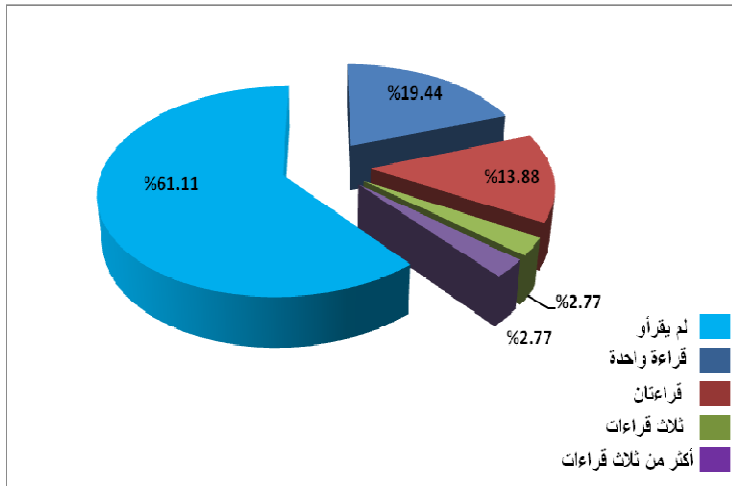
<sup>1</sup> محمد المبارك، استقبال النص عند العرب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، دار الفارس، عمان، 1999، ص79.



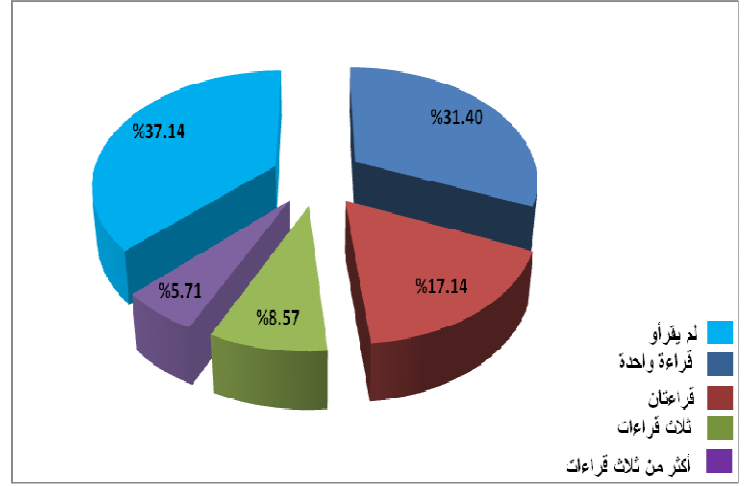
نسب المقرئية في الفوج 02  
خلال 03 أشهر



نسب المقرئية في الفوج 01  
خلال 03 أشهر



نسب المقرئية في الفوج 04  
خلال 03 أشهر



نسب المقرئية في الفوج 03  
خلال 03 أشهر

تفاوتت نسب التحصيل القرائي من فوج إلى آخر، فنسبة الذين لم يقرأوا في الفوج الثاني 25% بمعنى ربع الفوج، بينما تتضاعف النسبة وتزيد في الفوج الرابع إلى 61.11% بمعنى ما يفوق نصف الفوج من الطلبة لم يقرأ، أما بقية النسب فمتمقاربة في الأفواج، فأغلبية الطلبة قرأوا كتابا واحدا أو كتابين خلال الثلاثي، وهو ما يقودنا إلى الأسئلة التالية:

- ما هي أسباب تفاوت الإستجابة من فوج إلى آخر؟  
- لماذا تأثر طلبة دون آخرين بالمنهج التربوي والبيداغوجي لتفعيل القراءة ولم تتفاعل  
البقية؟

- لماذا اقتصر أغلبية الطلبة على قراءة واحدة أو اثنتان خلال ثلاثي كامل؟.

يمكن الاجابة عن هذه الأسئلة في شكل نقاط :

1-توقيت الحصة قد يؤثر سلبا أو إيجابا، إذ الملاحظ أن مردودية القراءة تتأثر تأثرا طرديا بتوقيت الحصة، فكلما تأخرت الحصة قلت المردودية والعكس.

2-منافسة المقاييس الأخرى وتحجج الطلبة بكثرة الواجبات مما يحد من توقيت القراءة لديهم في المقياس الواحد.

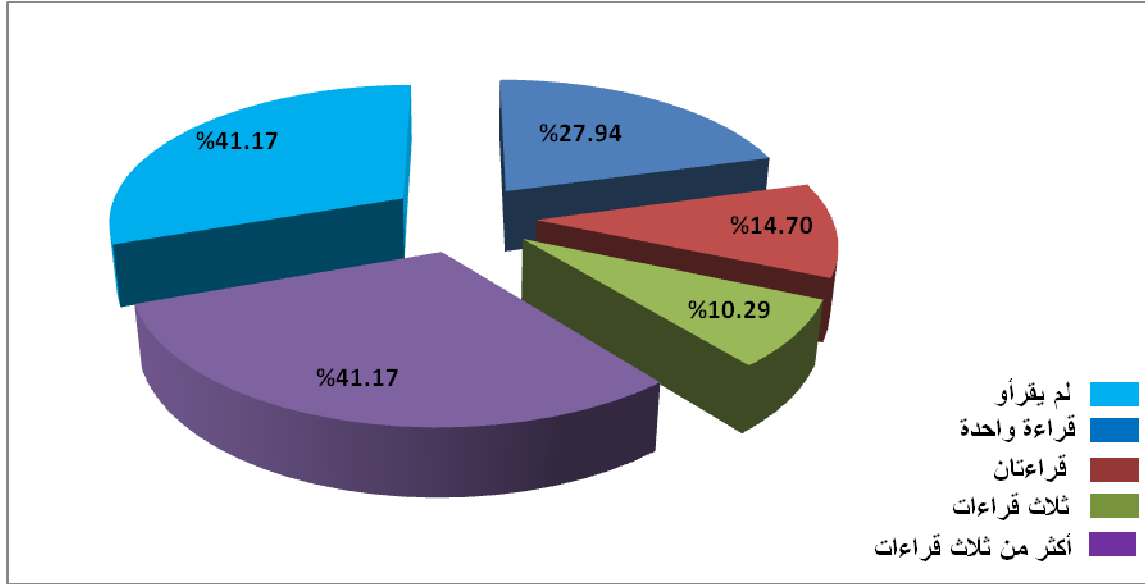
3-الكفاءة والرغبة الفردية، إذ تتميز الأفواج في الجامعة بقلّة الطلبة الراغبين في التكوين والتحصيل المعرفي، وهم الذين يشكلون النسب الضئيلة التي قرأت أكثر من ثلاث كتب:  
(2.77%، 5.4%، 5.71%، 10.71%).

4-تأثير الوضع الأسري والمادي في تشجيع الأبناء على القراءة والمطالعة وتوفير الكتاب.

5-الإلتزامات الاجتماعية للطالبات اللائي لديهن أبناء يؤثر سلبا على طموحهن ومردودهن القرائي في الغالب، عكس الأفراد المتفرغون للدراسة.



يلاحظ في الإجمال تدني المستوى القرائي لدى الطلاب رغم التحفيز المستمر للأستاذ، فالطلبة الذين قرأوا كتابا واحدا شهريا يقدرون بـ : 27.94% إجمالا، كما تتضح بقية النسب فيما يلي:



### نسبة المقرئية في الأفواج الأربعة

يجب مراعاة عامل مهم، هو أن هذه النسب المتدنية من القراءة كان يمكن أن تكون أدنى لولا عامل التحفيز والتشجيع، مما يؤكد الحقيقة المرة بأن الأغلبية لا تقرأ، وأن نسبة القراء من الطلبة الجامعيين قليلة جدا، مما يقودنا لإعادة النظر في بعض النقاط المتعلقة بالجانبيين التربوي والبيداغوجي.

### V- صعوبة تطبيق النظريات التعليمية وأثرها على المردودية القرائية:

إن ما تقترحه النظريات التعليمية لا يمكن تطبيقه بمثابة ذلك راجع لعدة أسباب:

**1- مبدأ التحفيز:** لا يمكن أن يكون نقيضا دائما للعقاب، فحينما تطول مدة التحفيز والترغيب في فعل القراءة دون إيجاد مردودية من قبل الطالب، يضطر الأستاذ غالبا إلى التهديد بالنقطة أو الرسوب وبالتردي المعرفي، فالطلبة ليسوا سواسية، فمنهم من يستجيب للتحفيز ومنهم من يستجيب للوعيد ومنهم من لا يستجيب.

**2-العامل النفسي:** يرتبط بالتحفيز والعقاب بالضرورة، فمن الطلبة من يقرأ بأريحية لتوفر الرغبة والتشجيع الأسري وتحفيز الأستاذ، ومن الطلبة من يقرأ تحت ضغط أسري واجتماعي معين وبدافع من تهديد الرسوب فهو يقرأ بامتعاض شديد، ومن الطلبة من لا يقرأ وهو مرتاح، فالمطالعة ليست من أولوياته، ومنهم من لا يقرأ وهو يعاني ضيقاً نفسياً لأن الظروف المحيطة غير ملائمة. ورغم أهمية الجانب البيداغوجي في خلق علاقة وطيدة بين الأستاذ والطالب تسودها الألفة والاحترام والحميمية، إلا أن هناك نسبة من الطلبة التي لا تستجيب ولا تحقق الانسجام المطلوب، مما يؤدي إلى امتعاض الأستاذ واستيائه من بعض الأفراد والأفواج، لأنه لا يلقي منهم الاستجابة المرجوة.

**3-المادة المعرفية:** ليست هي المحتوى المرغوب فيه دائماً، إذ تعترضها مجموعة من العوائق:

- عدم توفر الكتاب المرغوب فيه، عناوين معينة لكتاب محدد.
- عدم إرضاء المادة المتوفرة للقارئ بإشباع تطلعاته النفسية والمعرفية.
- الكتاب الإلكتروني قد لا يحقق الأريحية المطلوبة للطالب أثناء القراءة، مما قد يؤدي من مقروئته.
- عدم تناسب المادة المعرفية مع مستويات الطالب الفكرية والمعرفية، فالمحتوى لا يروق ثيميا ولغويا.

## **VI - رؤيا استشرافية:**

إن تردّي نسبة المقروئية في الوسط الطلابي الجامعي يعكس الوضع الثقافي العام المتدني في البلاد وتكريس سياسة التهميش للعقل العربي بإحالتها على وضع كموني مزمن، ورغم ذلك تبقى الجامعة النواة المركزية للإشعاع العلمي بطموحها إلى زرع روح القراءة والثقافة لدى الطالب، وهو جهد جماعي لا يتوقف على أستاذ واحد بل يتعلق بالمنظومة التربوية ككل، إذ لا بد أن يتوافر الأساتذة على رؤيا استشرافية موحدة تهفو إلى صناعة جيل جديد تترسخ فيه ثقافة حب المطالعة والكتاب.

## قائمة المراجع :

- 1- بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2007.
- 2- حازم خيرى، مقالات في الفكر الأنسني، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2010.
- 3- عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 4- محمد البرهمي، ديداكتيك النصوص القرائية بالسلك الثاني الأساسي، النظرية والتطبيق، دط، دار الثقافة، الدار البيضاء، دت.
- 5- محمد المبارك، استقبال النص عند العرب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، دار الفارس، عمان، 1999.